مجلة كلية الآداب
"دوريَّةٌ – أكاديميَّةٌ – علميَّةٌ – مُحَكَّمةٌ"
العدد (٤١)، الجزء الثاني، أكتوبر ٢٠١٦م ص ص ٩ - ٣٨
جامعة سوهاج
كلية الآداب

طغيان الأمم والأفراد في ضوء القرآن الكريم

خالد فؤاد محمد بليل(*)

مقدمة:

الحمد لله رافع السبع الشداد، ليس في ملكه شركاء ولا انداد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن لـــه كفـــوا احد، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد، ، ، ،

لقد عانت الأمم والأفراد من الطغيان بكل صوره وأشكاله، ولقد تحدث القرآن الكريم عن الطغيان في آيات عديدة وكثيرة، وأفرد القرآن في قصصه آيات كثيرة عن الطغيان والطغاة، وعلي رأس هؤلاء الطغاة فرعون، فتناول القرآن الكريم لقصة الطاغية فرعون في عديد من سوره، وتناولها مـــن جميـــع الزوايـــا، وبتنـــوع الاسلوب، مما يدل علي خطورة الطغيان، وكذلك تحدث القرآن الكريم عن طغيان كثير من الأمم مثـــل نـــوح وشعيب عليهم السلام وغيرهم، فالطغيان آفة جسيمة علي الفرد والمجتمع، ويمارس هذاالطغيان الأمم وكذلك الأفراد، والقرآن الكريم يزخر بالقصص القرآني الذي يتحدث عن آفة الطغيان وخطرها، لـــذا جـــاء عنـــوان البحث "طغيان الأمم والأفراد في ضوء القرآن الكريم"

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية هذا البحث في عدة نقاط اجملها في الاتي:

١- ايضاح معني الطغيان لغة واصطلاحا من خلال المفسرين.
٢- بيان شمول القران الكريم لجميع افات وامراض المجتمع وكذلك علاجها .
٣- استنباط طغيان كلا من الامم والافراد من خلال القصص القرآني.
٤- التعرف علي خطورة الطغيان علي الفرد والمجتمع .

الدراسات السابقة:

١- آيات الطغيان في القران الكريم "دراسة موضوعية " للطالب محمد صبحي سليمان محمـــود – اشـــراف الاستاذ الدكتور زياد الدغامين – رسالة ماجستير بكلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت بالاردن – عام ٢٠٠٦م.

منهج البحث:

اعتمدت في اعداد البحث علي منهجين اساسيين هما:

١- المنهج الاستقرائي:وذلك بتتبع واستقراء الايات القرانية التي ورد فيها لفظ الطغيان .
٢- المنهج التحليلي الاستنباطي: وذلك بدراسة وتحليل الايات القرانية التي ورد فيها لفظـــة الطغيـــان، ومن ثم تقسيمها الي طغيان الامم والافراد.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع ان تكون الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة .

المقدمة:

(*) المدرس المساعد بقسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

وتشتمل علي اهمية الموضوع، واسباب اختياره، والمنهج الذي سلكه الباحث في معالجة مسائل البحث، والخطة التي سيسير عليها البحث.

المبحث الاول: تعريف الطغيان لغة واصطلاحا .

المطلب الاول: الطغيان لغة .

المطلب الثاني: الطغيان اصطلاحا.

المبحث الثاني: طغيان الأمم كما يراه القران الكريم

المطلب الاول: طغيان قوم نوح عليه السلام .

المطلب الثاني: طغيان قوم صالح عليه السلام .

المطلب الثالث: طغيان قوم فرعون.

المبحث الثالث: طغيان الأفراد كما يراه القران الكريم .

المطلب الاول: طغيان فرعون .

المطلب الثاني: طغيان قارون .

الخاتمة: وتشتمل علي اهم النتائج التي توصل اليها الباحث .

المبحث الأول: تعريف الطغيان لغة واصطلاحاً

ويشمل المبحث الأول على المطالب التالية:

المطلب الأول: الطغيان لغة .

المطلب الثاني: الطغيان اصطلاحاً.

المطلب الأول: تعريف الطغيان (لغة):

(طغى) طغيا وطغيانا جاوز الحد المقبول، والماء فاض وتجاوز الحد في الزيادة، وفى التنزيل قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾.(١) والبحر هاجت أمواجه ويقال طغى الموج، وفلان غلا في العصيان وتجبر وأسرف في الظلم، (اطغاه) المال والسلطان جعله طاغيا.(٢)

طغى يطغى طغيا ويطغو طغيانا جاوز القدر، وارتفع وغلا في الكفر، وفى الحديث (إن للعلم طغيانا كطغيان المال) أي يحمل صاحبه على الترخص بما اشتبه منه إلى مالا يحل له، ويرتفع به على من دونه ولا يعطى حقه بالعمل به، كي يفعل رب المال وكل مجاوز حده في العصيان.(٣)

قال الخليل(٤) (ت ١٧٠ه): (الطغيان كل شيء يجاوز القدر فقد طغى، مثل طغى الماء على قوم نوح، وكما طغت الصيحة على ثمود).(٥)

---

(١) سورة الحاقة: آية ١١.

(٢) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – ٥٥٨/٢.

(٣) لسان العرب – ابن منظور – مادة (طغى) – ٧/١٥.

(٤) الخليل هو (الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، الامام صاحب العربية ومنشئ علم العروض البصري أحد الأعلام، ولد سنة مائة ومات سنة سبعين ومائة، ومات ولم يتم كتاب العين، ولا هذبه، ولكن العلماء يغرفون من بحره).
انظر: سير أعلام النبلاء – الذهبى – ٤٣١/٧.

(٥) العين – الفراهيدي – ٤٣٥/٤.

قال ابن فارس[١] (ت ٣٩٥ه):(الطغيان: مجاوزة الحد في العصيان، وكل مجاوز للحد في العصيان طاغ).[٢]

وفى تاج العروس: (طغى: ارتفع وعلا في الكفر، وأسرف في المعاصي والظلم، وطغى الماء: ارتفع وعلا حتى جاوز الحد في الكثرة).[٣]

فمعنى الطغيان لغة يدور حول: مجاوزة الحد أو القدر المعلوم، سواء كان في العصيان أو في أكل الأموال أو في الحكم.

والطاغية: (الذي لا يبالي ما أتى، يأكل الناس ويقهرهم، لا يثنيه تحرج ولا فرق).[٤]

المطلب الثاني: تعريف الطغيان اصطلاحاً:

سنذكر بإذن الله تعالى تعريف الطغيان عند المفسرين، وذلك لكون البحث داخلا في إطار التفسير الموضوعي.

فالطغيان هو: (الغلو في الظلم واقتحام المكابرة مع عدم الاكتراث بلوم اللائمين من أهل اليقين)[٥]، أو (مجاوزة الحد في العصيان)[٦]، أو (تجاوز الحد الذي كان عليه من قبل، وكل شيء جاوز الحد فقد طغى).[٧] طغى).[٧]

وقال القرطبي[٨] رحمه الله (ت ٦٧١): (الطغيان: تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه، وذلك أن الظلم منه صغيره وكبيره، فمن تجاوز منزلة الصغيرة فقد طغى).[٩]

وعرف ابن عطية[١٠] الطغيان: بأنه الزيادة على الحدود المتعارفة في الأشياء.[١١]

وعرفه الشوكاني[١٢] (ت١٢٥٠ه) بأنه: الزيادة على القدر، والخروج عن حيز الاعتدال في الكثرة.[١٣]

عرف البقاعي الطغيان: (مجاوزة الحد في العصيان، وتدور مادة طغى على مجاوزة الحد مع العلو).[١]

---

(١) ابن فارس هو: (احمد بن فارس بن زكريا محمد بن حبيب، أبو الحسن الرازي وقيل القزوينى المعروف بالرازى المالكى اللغوى، نزيل همزان وصاحب "المجمل في اللغه"، ولد بقزوين، ونشأ بهمزان وكان أكثر مقامه بالري، وتوفي بالري في صفر سنة خمس وتسعين).
انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام – الذهبى – ٧٤٦/٨.

(٢) مجمل اللغة – ابن فارس – ٥٨٣/٢.

(٣) تاج العروس – الزبيدي – مادة "طغي" – ٤٩٢/٣٨.

(٤) لسان العرب – ابن منظور – مادة (طغى) – ١٠/١٥.

(٥) التحرير والتنوير – ابن عاشور – ٢٦٧/٤.

(٦) التعريفات – الجرجاني – ص١٤٦.

(٧) الكليات – الكوفي – ص٥٨٠.

(٨) القرطبي هو: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج الانصاري الخزرجى الاندلسى القرطبى، نشأ في قرطبة بالاندلس، في إنتقل إلى مصر في عام ٦٣٣ه وظل بها حتى وافته المنيه، وتوفى بصعيد مصر، وذلك يوم الاثنين من شهر شوال من سنه إحدى وسبعين وستمائة ٦٧١ه، ودفن هناك).
انظر: (شذرات الذهبى – ابن العماد – ٣٣٥/٥، الوافى بالوفيات – الصفوي – ٤٧/٢).

(٩) تفسير القرطبي – ١٥٩/٦.

(١٠) ابن عطية هو: (أبو محمد عبد الحق ابن الحافظ أبى بكر غالب بن عطية المحازبي الغرناطى، كان إماماً في الفقه والتفسير، ولد سنة ثمانين وأربع مائة (٤٨٠ه) بحصن لُورقة، في الخامس والعشرين من شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين وخمس مائة (٥٤١ه))، انظر: سير أعلام النبلاء – الذهبي – ١٩/ ٥٨٨.

(١١) المحرر الوجيز – ابن عطية – ٣٥٨/٥.

(١٢) الشوكانى هو: (محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان، ونشأ بصنعاء، وولى قضائها سنة ١٢٢٩ه، ومات حاكما بها، له ١١٤ مؤلفاً، توفي عام ١٢٥٠ه). انظر: الأعلام – الزركلى – ٢٩٨/٦.

(١٣) فتح القدير – الشوكاني – ٤٨٢/٢.

وعرفه الثعالبي[٢] رحمه الله: (التخبط في الشر، والافراط فيما يتناوله المرء).[٣]

فجميع التعريفات كلها تدور حول "مجاوزة الحد"، ولكن هناك من قيد مجاوزة الحد، أو الشيء المتجاوز فيه من أنه: التكبر والتمرد، أو الفساد أو الكفر والظلم والبغي وهكذا، ففي القرآن الكريم يقول تعالى مخاطباً سيدنا موسى (عليه السلام): ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾[٤]، "طغى": جاوز الحد في العصيان والتمرد.[٥]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾[٦]كلا إن الانسان ليطغى ليتجاوز حده ويستكبر على ربه ان رآه استغنى.[٧]

طغي معناه:

(تجاوز الحدود التي ينبغي للإنسان أن يقف عندها بأن كفر وآثر الحياة الدنيا على الآخرة لتكذيبه بالآخرة).[٨]

وعرف الطبري(طغوا):

(تجاوزوا ما أباحه لهم ربهم، وعتوا على ربهم إلى ما حظره عليهم من الكفر به).[٩]

أما الطغيان السياسي فهو: تجاوز الإنسان حده وقدره بسبب ما اوتيه من سلطه الأمر والنهى ونفاذهما على الغير ولو جبرا وقهرا عند الإقتضاء.[١٠]

الفرق بين الاستبداد السياسي والطغيان:

خلط البعض بين المستبد من الحاكم والطاغية، فالبون بينهما عظيم، فالمستبد من تفرد برأيه واستقل به، فقد يكون مصلحا يريد الخير ويأتيه، أما الطاغية فيستبد مصرفا في المعاصي والظلم، وقد يلجأ في طغيانه إلى اتخاذ القوانين والشرائع سترا يتستر به، فيتمكن مما يطمح إليه من الجور والظلم والفتك برعيته وهضم حقوقها، وقد يكيف فظائعه بقالب العدل فيكون أشر الطغاة، وأشدهم بطشا من تناولهم سلطته، وقد اختصت الأمم والكتبة لقب الطاغية بالملوك، ولم يطلقوه على كل من طغى منهم.[١١]

فيوجد خلط بين مفهومي الاستبداد والطغيان سواء في النصوص أو الاذهان، فالطغيان يشمل عنصرين لا نجدهما بالضرورة في الاستبداد وهما القهر والجور، في حين أن الاستبداد يعنى أن التصرف غير مقيد يتم في شئون الجماعة السياسية يبرز إرادة الحاكم وهواه ولا يعنى بالضرورة أن تعرف الحاكم ضاغط بعنف

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور– البقاعي – ٣٩٢/٩.
(٢) الثعالبي هو: (عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، مفسر من أعيان الجزائر، زار تونس والمشرق، من كتبه الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وله أكثر من تسعين كتاباً، وتوفى سنة ٨٧٥هـ، ودفن بجبانة الطلبة في مدينة الجزائر).
انظر (الاعلام – الزركلى – ٣٣١/٣، معجم أعلام الجزائر – عادل نويهض – ص٩١).
(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن – الثعالبي – ٥٥١/١.
(٤) سورة طه: آية ٢٤.
(٥) اللباب في علوم الكتاب – أبو حفص سراج الدين النعماني – ٢٢٣/١٣.
(٦) سورة العلق: آية ٦–٧.
(٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن – الثعلبي – ٢٤٦/١٠.
(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية الاندلسي– ٤٣٥/٥.
(٩) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ٤١٠/٢٤.
(١٠) السنن في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية – د/ عبد الكريم زيدان – ص:١٨٩.
(١١) الطاغية – إمام عبد الفتاح – ص٤٠.

على المحكومين غير مهتم بقواعد العدل والانصاف، وأما الطاغية هو الذي يقوم بالاستيلاء على الحكم بصورة غير شرعية، ولكن في المقابل المستبد يحكم بموجب القوانين النافذة التي يحددها هو.[١]

فالطاغية مغتصب السلطة السيادية، فالطاغية هو من يتدخل ضد القوانين ليحكم وفقاً للقوانين، والمستبد هو من يضع نفسه فوق القوانين نفسها، وهكذا يمكن للطاغية أن يكون مستبدا، لكن المستبد يكون دائما طاغية.[٢]

فالاستبداد يتحول الى الطغيان إذا ما حافظت الحكومة المتصفة به على بقاءها بالقوة، [٣] وقد وردت كلمة طغى ومشتقاتها في القرآن الكريم في أكثر من تسعين موضع[٤] مثل: طاغين، اطغى، الطاغية، بطغواها، طغيانا، طغيانهم، الطاغوت.

المبحث الثاني: طغيان الأمم كما يراه القرآن الكريم

ويشمل المبحث الثاني على المطالب التالية:

المطلب الأول: طغيان قوم نوح عليه السلام.

المطلب الثاني: طغيان قوم صالح عليه السلام.

المطلب الثالث: طغيان قوم فرعون.

المطلب الأول: طغيان قوم نوم عليه السلام:

يقول تعالى مخبراً عن سيدنا نوح: ﴿۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩﴾[٥]

لقد أرسل الله (ﷻ) نوحاً (عليه السلام) إلى قومه حتى يخلصهم من الكفر الذى وقعوا فيه، ويدعوهم إلى عبادة الله وحده، ولكن قومه كذبوه، ورموه بالضلال، وسخروا منه وطغوا عليه وإذا نظر القارئ المتمعن المتدبر في قوله تعالى: (وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ)، فإنه يلاحظ أن الذين يقومون بالاستهزاء والسخرية من نوح (عليه السلام) هم الملأ.

(فإستهزؤوا به لعمله السفينة، إما لأنهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها، فتعجبوا من ذلك، وسخروا منه، إما لأنه (عليه السلام) كان يصنعها في برية بعيدة عن الماء، وكانوا يتضاحكون ويقولون: يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً، قال " إن تسخروا منا " لهذا العمل ومباشرة أسباب الخلاص من العذاب، " فإنا نسخر منكم " لما أنتم فيه من الإعراض، إنها منه (عليه السلام) لمَّا كانت لجزائهم من جنس صنيعهم، لم تَقبُح).[٦]

(و" نسخر منكم " اليوم لجهلكم وغداً لما يحل عليكم، فإن كنتم لا تعلمون اليوم بما نعمل وبما سيكون من عاقبة أمرنا، فسوف تعلمون بعد تمامه من يأتيه عذاب يذله، ويجلب له العار والتبار في الدنيا، ويحل عليه عذاب مقيم بعد ذلك في الآخرة).[٧]

فهذا هم قوم نوح طغوا على نوح عليه السلام، وبغوا عليه.

---

(١) الموسوعة الفلسفية العربية – معن زيادة – ٢٧/٢.
(٢) في العقد الاجتماعي – جان جاك روسو – ترجمة/ ذوقان قرقوط – ص١٤.
(٣) قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية – سامي ذبيان واخرون – ص٣٨.
(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي – ص٥٤١.
(٥) سورة القمر: آية ٩.
(٦) روح المعاني – الألوسي – ٥٠/١١.
(٧) أضواء البيان – الشنقيطي – ٤٤٢/٨.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾[١]، **فإنه يلاحظ أن الذين يقومون بالاستهزاء والسخرية من نوح (عليه السلام) هم الملأ، ففي سياق قصة نوح (عليه السلام):**﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠﴾[٢].

(فإن الإنسان ليطغى ليتجاوز حده ويستكبر على ربه أن رآه استغنى يرتفع من منزلة إلى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما، وكان رسول الله (ﷺ) يقول "أعوذ بك من فقر ينسى ومن غنى يطغى").[٣]

(فثمة علاقة بين الثراء الفاحش والطغيان، والقرآن يذهب إلى حد بعيد في تصديه لظاهرة الترف والمترفين، فهم أعداء الهدى والعرفان، أعداء الحق والعدل، ولذلك فصورتهم في القرآن الكريم ترتبط دائماً بالإنسان في الدنيا، وسوء المال في الآخرة).[٤]

قال السعدي رحمه الله: (الإنسان – لجهله وظلمه – إذا رأى نفسه غنياً، طغى وبغى وتجبر عن الهدى، ونسى أن إلى ربه الرجعى).[٥]

(فالمسلم لا يستعبده المال ولا يسترقُّه؛ لأن ما يحتاجه من طعام وشراب ومسكن وغيره من الأمور يحتاج اليها يطلبها من الله ويرغب اليه فيها، وذلك بفعل الأسباب والسعي في طلب الرزق ومواجهة الآخرين بقلب شجاع وضمير حي؛ فإذا كان عنده مال استعمله في حاجته كأي شيء مهان لا قيمة له، وليس معنى هذا أن يبذر، وإنما المقصود ألا يستعبده هذا المال فلا يكون هلوعاً ولا يعلق قلبه فيما لا يحتاج اليه؛ لأنه إذا علق قلبه بطلب المال الكثير صار عبداً له).[٦]

ففي قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٥﴾.[٧]

(لأجل كثرة ماله وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه إلى الطغيان، وجعله من جملة أساطير الأولين).[٨]

المطلب الثاني: طغيان قوم صالح عليه السلام:

قَالَ تَعَالَىٰ:قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ .[٩]

قَالَ تَعَالَىٰ: وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١

---

(١) سورة هود: آية ٣٨.
(٢) سورة الأعراف: آية ٦٠.
(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن – الثعلبى – ٢٤٦/١٠.
(٤) القرآن والسلطان هموم إسلامية معاصرة – فهمي هويدي – ص ١٨٢.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدى – ص٩٣٠.
(٦) الحريات من القرآن الكريم – د/على محمد محمد الصلابي – ص٢٦.
(٧) سورة القلم: آية ١٠–١٥.
(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدى – ص٨٧٩.
(٩) سورة الأعراف: آية ٧٥.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾.(١)

قال (ﷺ) (إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال).(٢)

وقال (ﷺ): (ماذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف).(٣)

حرص المرء والإنسان على المال والجاه يفسد في الدين أكثر من إفساد ذئبين جائعين في زريبة غنم، لأن الإنسان في سبيل المال والجاه يضحي بأي شيء في مقابل ذلك.

يحاول كل من طغي في كل وقت التخلص من المعارضين وبطرق خفية خبيثة، فيقوم بقتل الأبرياء والصالحين ومن عندهم ولاء حقيقي لهذا الوطن كقتل الجنود الأبرياء وكقتل الشرفاء والمخلصين من أبناء الوطن من جماعات إرهابية متطرفة، فهؤلاء إن كانوا قتلوا فهم شهداء عند ربهم يرزقون، وهذا ما حاولوت تطبيقه الجماعة الإرهابية الطاغية المستبدة من ملأ صالح (عليه السلام).

قَالَ تَعَالَىٰ: وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾.(٤)

وكما فعلت النخبة المستبدة من قريش حينما خططوا لقتل سيد البشر (ﷺ) قَالَ تَعَالَىٰ: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾.(٥)

فقاموا بوضع الخطة وحبكها لقتل القائد، فالإرهاب لا يعرف أخلاق والاستبداد ليس له دين، يفعل ما يشاء في سبيل مصلحته ومصلحة جماعته، فخطط هؤلاء وحبكوا الخطة لقتل النبي (ﷺ)، حيث اجتمعوا للتخطيط والتنفيذ.

(قال أبو جهل ابن هشام: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا – الملأ من قريش – وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل، فعقلناه لهم).(٦)

(فسلطانهم إنما هو على أجساد الرعية، وأنه لا سلطان للملوك على القلوب، وإعلموا أنكم إن غلبتم النفس على ذات أيديهم فلن تغلبوهم على عقولهم).(٧)

---

(١) سورة سبأ: آية ٣١: ٣٣.
(٢) أخرجه الترمذي – باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال – رقم (٢٣٣٦) – ٥٦٩/٤ – وقال حديث حسن صحيح غريب.
(٣) أخرجه الترمذي – رقم (٢٣٧٦) – ٥٨٨/٤ – حديث حسن صحيح – قال الألباني: صحيح.
(٤) سورة النمل: الآيات ٤٨ – ٥١.
(٥) سورة الأنفال: آية ٣٠.
(٦) الروض الأنف في شرح السنة النبوية – عبد الرحمن السهيلي – ١٧٨/٤.
(٧) عهد أردشير – ص ٨١.

(إن عقول المستبدين لا تعرف مبدأ التفاهم، ولا تطيق الأخذ والرد للوصول إلى الحق، ويكاد لا ينبعث صوت للخير حتى يلاحقه سوط من الإرهاب يطلب إما إخراسه وإما قتله).[١]

يقول تعالي: فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢.[٢]

(فلا تتجاوزوا الحد فيما أمرتم به أو نهيتم عنه بالزيادة إفراطاً، فإن الله تعالى إنما أمركم ونهاكم لتهذيب نفوسكم لا لحاجته إلى ذلك ولن تطيقوا أن تقدروا الله حق قدره، والدين متين لن يشاده أحد إلا غلبه، فقد رضي منكم سبحانه الاقتصاد في العمل مع حسن المقاصد، ويجوز أن يكون المعنى: ولا تبطركم النعمة فتخرجكم عن طريق الاستقامة يمنة أو يسرة).[٣]

فها هو معاوية بن أبي سفيان كان ينصح ابنه يزيد باستخدام السيف والقتل مع معارضيه سواء فكرياً أو سياسياً، فقد احضر ابنه يزيد وهو على فراش الموت وقال له:

وهذا الحاكم المستبد الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي كان يقول:

(لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحللت دمائهم وأموالهم، ويقال إنهم عدوا من قتلوا في عهده في محبسهم فقط دون حكم قضائي فكانوا مائة وعشرون ألفاً، ولما مات وجد في سجونه ثمانون ألف جثة متعفنة من جثث الأبرياء سجنهم دون قضايا أو محاكمات).[٤]

المطلب الثالث: طغيان قوم فرعون:

قال الله تعالي في شأن قوم فرعون:

قَالَ تَعَالَىٰ: ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٧٥[٥]

({ثُمَّ بَعَثْنَا} مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الرُّسُلِ {مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} أيْ: قوْمِهِ. {بِآيَاتِنَا} أيْ: حجَجنا وبَرَاهِينِنَا، {فَاسْتَكْبَرُوا وكَانُوا قوْمًا مُجْرِمِينَ} أيْ: اسْتَكْبَرُوا عَن اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَالِانْقِيَادِ لهُ، {فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ} كَأَنَّهُمْ -قَبَّحهم اللَّهُ -أقْسَمُوا عَلَى ذَلِكَ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ مَا قالُوهُ كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ، كَمَا قالَ تَعَالَى: وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤.[٦]).[٧]

(ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح إلى قومهم، موسى وهارون ابني عمران، إلى فرعون مصر وملئه، يعني: وأشراف قومه وسادتهم بآياتنا، يقول: بأدلتنا على حقيقة ما دعوهم إليه من الإذعان لله بالعُبُودة، والإقرار لهما بالرسالة فاستكبروا، يقول: فاستكبروا عن الإقرار بما دعاهم إليه موسى وهارون، وكانوا قومًا مجرمين، يعني: آثمين بربهم، بكفرهم بالله).[٨]

---

(١) الإسلام والاستبداد السياسي – محمد الغزالي – ص ١٠٤.
(٢) سورة هود: آية ١١٢.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – البقاعي – ٣٩١/٩.
(٤) الخلافة والملك – أبو الأعلى المودودي – ص ١٠٦.
(٥) سورة يونس: آية ٧٥.
(٦) سورة النمل: آية ١٤.
(٧) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١٤\ ٢٨٥
(٨) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) – ١١٥\

{إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} أي: كبار دولته ورؤسائهم، لأن عامتهم، تبع للرؤساء.[١]

و قَالَ تَعَالَىٰ: إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧ ".[٢]

إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فاتَّبَعُوا أمْرَ فِرْعَوْنَ فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أو فما تبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة، واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم. وَما أمْرُ فِرْعَوْنَ برَشِيدٍ مرشد أو ذي رشد، وإنما هو غي محض وضلال صريح.[٣]

إلى فرعون وملئه الذين هم خاصته، وسادات قومه وكبراؤهم ...

وخصهم بالذكر مع فرعون، لأنهم هم الذين كانوا ينفذون أوامره، ويعاونونه على فساده والضمير في قوله فاتَّبَعُوا أمْرَ فِرْعَوْنَ يعود إلى الملأ أى: فاتبعوا أمره في كل ما قرره من كفر، وفي كل ما أشار به من فساد.[٤]

(الملأ هم أشراف القوم، وإنما خصهم بالذكر دون سائر القوم، لأنهم أتباع لهم في الإصدار والإيراد، وخص هؤلاء الملأ دون فرعون بقوله: فاتبعوا أمر فرعون أي: أمره لهم بالكفر، لأن حال فرعون في الكفر أمر واضح، إذ كفر قومه من الأشراف وغيرهم إنما هو مستند إلى كفره، ويجوز أن يراد بأمر فرعون:شأنه وطريقته، فيعم الكفر وغيره وما أمر فرعون برشيد أي: ليس فيه رشد قط، بل هو غي وضلال، والرشيد بمعنى: المرشد، والإسناد مجازي، أو بمعنى ذي رشد، وفيه تعريض بأن الرشد في أمر موسى يقدم قومه يوم القيامة من قدمه بمعنى تقدمه، أي: يصير متقدما لهم يوم القيامة سابقا لهم إلى عذاب النار كما كان يتقدمهم في الدنيا فأوردهم النار أي: إنه لا يزال متقدما لهم وهم يتبعونه حتى يوردهم النار وعبر بالماضي: تنبيها على تحقق وقوعه).[٥]

و قَالَ تَعَالَىٰ: إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ٤٦ .[٦]

(كـ " هامان " وغيره من رؤسائهم {فَاسْتَكْبَرُوا} أي تكبروا عن الإيمان بالله واستكبروا على أنبيائه {وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ} أي وصفهم العلو والقهر والفساد في الأرض فلهذا صدر منهم الاستكبار ذلك غير مستكثر منهم{فَقَالُوا} كبرا وتيها وتحذيرا لضعفاء العقول وتمويها {أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا} كما قاله من قبلهم سواء بسواء تشابهت قلوبهم في الكفر فتشابهت أقوالهم وأفعالهم وجحدوا منة الله عليهما بالرسالة {وَقَوْمُهُمَا} أي بنو إسرائيل {لَنَا عَابِدُونَ} أي معبدون بالأعمال والأشغال الشاقة).[٧]

و قَالَ تَعَالَىٰ: ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢ ".[٨]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) – ١١ ٣٧٠
(٢) سورة هود: آية ٩٧.
(٣) نوار التنزيل وأسرار التأويل – البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) – ١٤٧/٣
(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم – محمد سيد طنطاوي – ٢٦٧/١٧
(٥) فتح القدير – الشوكاني(المتوفى: ١٢٥٠هـ) – ٥٩٣/٢
(٦) سورة المؤمنون: آية ٤٦.
(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) – ص٥٥٢
(٨) سورة القصص: آية ٣٢.

إلى فرعون وملائه أي وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع إنهم كانوا قوما فاسقين أي خارجين عن طاعة الله، مخالفين لأمره ودينه.(١)

وذكر لزيادة التقوية {برهانان} أي سلطانان وحجتان قاهرتان {من ربك} أي المحسن إليك لا يقدر على مثلهما غيره {إلى} أي واصلان، أو أنت مرسل بهما إلى {فرعون وملئه} كلما أردت ذلك وجدته، لا أنهما يكونان لك هنا في هذه الحفرة فقط، ثم علل الإرسال إليهم على وجه إظهار الآيات لهم واستمرارها بقوله مؤكداً تنبيهاً على ان إقدامه على الرجوع إليهم فعل من يظن أنهم رجعوا عن غيهم، وإعلاماً بمنه عليه بالحماية منهم بهذه البراهين: {إنهم كانوا} أي جبلة وطبعاً {قوماً} أي أقوياء {فاسقين*} أي خارجين عن الطاعة، فإذا رأوا ذلك هابوك، فلم يقدروا على الوصول إليك بسوء، وكنت في مقام أن تردهم عن فسقهم.(٢) فسقهم.(٢)

و قَالَ تَعَالَىٰ: وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِۦهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦.(٣)

{إلى فرعون} أي لأنه طغى وبغى وادعى أنه هو الرب الأعلى ووافقه الضالون: {وملأه} الذين جعلهم آلهة دونه وعبدهم قومهم فلم يقرهم على ذلك لأنا ما رضيناه {فقال} بسبب إرسالنا {إني رسول} وأكد لأجل إنكارهم ما أنكره قومك من الرسالة. ولما كان الإحسان سبباً للإذعان قال: {رب العالمين*} أي مالكهم ومربيهم ومدبرهم.(٤)

قول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا إلى فرعون وأشراف قومه، كما أرسلناك إلى هؤلاء المشركين من قومك، فقال لهم موسى: إني رسول رب العالمين، كما قلت أنت لقومك من قريش. إني رسول الله إليكم.(٥)

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ ابْتَعَثَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْقَادَةِ، وَالْأَتْبَاعِ وَالرَّعَايَا، مِنَ الْقِبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ، يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَأَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُ آيَاتٍ عِظَامًا، كَيَدِهِ وَعَصَاهُ، وَمَا أَرْسَلَ مَعَهُ مِنَ الطُّوفَانِ وَالْجَرَادِ وَالْقُمَّلِ وَالضَّفَادِعِ وَالدَّمِ، وَمِنْ نَقْصِ الزُّرُوعِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ اسْتَكْبَرُوا عَنِ اتِّبَاعِهَا وَالِانْقِيَادِ لَهَا، وَكَذَّبُوهَا وَسَخِرُوا مِنْهَا، وَضَحِكُوا مِمَّنْ جَاءَهُمْ بِهَا.(٦)

و قَالَ تَعَالَىٰ: فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِۦهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣.(٧)

فما آمَنَ لِمُوسى أي في مبدأ أمره. إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعون إلا طائفة من شبانهم، وقيل الضمير ل فِرْعَوْنَ والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به، أو مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته عَلى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أي مع خوف

(١) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١٦ ٢١٢
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) – ١١٤ ٢٨٣
(٣) سورة الزخرف: آية ٤٦.
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور – البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) – ١١٧ ٤٤١
(٥) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) – ١٢١ ٦١٤
(٦) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١٧ ٢٣٠
(٧) سورة يونس: آية ٨٣.

منهم، والضمير ل فِرْعَوْنَ وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء، أو على أن المراد ب فِرْعَوْنَ آله كما يقال: ربيعة ومضر، أو لل ذُرِّيَّةٌ أو للقوم. أنْ يَفْتِنَهُمْ أن يعذبهم فرعون، وهو بدل منه أو مفعول خوف وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه. وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعالٍ فِي الْأَرْضِ لغالب فيها. وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء.(١)

و قَالَ تَعَالَىٰ: قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ".(٢)

أي قال الملأ وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون موافقين لقول فرعون فيه بعد ما رجع إليه روعه واستقر على سرير مملكته بعد ذلك قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم فوافقوا وقالوا كمقالته وتشاوروا في أمره كيف يصنعون في أمره وكيف تكون حيلتهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته وظهور كذبه وافترائه وتخوفوا أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه.(٣)

ففرعون المستبد لم يحكم وحده، وإنما شاركه استبداده قومه، أو البارزون وأصحاب النفوذ والمصالح في المجتمع، يقول د/ عبد الكريم زيدان:

(الملأ هم البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه الذين يعتبرهم الناس أشراف وسادة، أو يعتبرون حسب مفاهيم المجتمع وقيمه أشراف المجتمع وسادته، ومن ثم يستحقون في عرف الناس قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه، وقد يباشرون ذلك فعلاً، وإطلاق كلمة الملأ على هؤلاء في القرآن الكريم بهذا المعنى هو من قبيل بيان الواقع لا من قبيل بيان استحقاقهم فعلاً للشرف والسيادة والقيادة والرئاسة).(٤)

لقد حذرت الاداب السلطانية الملوك من أن يقربوا أحد من حاشيتهم وذلك حتى لا يتجرأوا على الملوك، فيقول الطوسى: (لا مندوحة من اتخاذ الاكفاء ممن ينطلق معهم على سجيته، ويطاردهم ما يريد دونما حرج، لأن مجالسة الملوك الكبراء لحكام الأطراف، وقادة الجيش، كثيراً ما تؤثر في هيبتهم وعظمتهم وتقديرهم، وتزيد من جسارة أولئك معهم، فعلى الملوك ألا يتخذوا ندمائهم ممن أسندوا إليهم مناصب ومقامات وأعمالاً، وألا يسندوا للندماء أي عمل أبداً لأنهم بما لهم من رحاب الملك من خطوة قد يتطاولون، ويتسببون في إذاء الناس وإرهاقهم).(٥)

ولقد ذكر القرآن الكريم أن فرعون الطاغية كان له قوم طغاه، ومن أبرز شخصيات قوم فرعون هامان وقارون، فكان هامان الذراع الأيمن لفرعون.

قَالَ تَعَالَىٰ: فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ".(٦)

قال ابن القيم رحمه الله:

(تأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمرائهم وولاتهم من جنس أعمالهم، بل كأن أعمالهم ظهرت في صورة ولاتهم وملوكهم، فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن جاروا جارت ملوكهم وولاتهم، وإن ظهر فيهم المكر والخديعة فولاتهم كذلك، وإن منعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل – البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) – ١٣ ١٢١
(٢) سورة الأعراف: آية ١٠٩.
(٣) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١٣ ٤٠٩
(٤) أصول الدعوة – د / عبد الكريم زيدان – ص ٣٦٦.
(٥) سير الملوك – نظام الملك الطوسي – ص١٢٦.
(٦) سورة القصص: آية ٨.

منعهم ملوكهم وولاتهم مالهم عندهم من الحق، وبخلوا بها عليهم، وإن أخذوا ممن يستضعفونه ما لا يستحقونه في معاملتهم، أخذت منهم الملوك ما لا يستحقونه، وضربت عليهم المكوس والوظائف، وكل ما يستخرجونه من الضعيف، يستخرجه الملوك منهم بالقوة، فعمالهم ظهرت في صور أعمالهم، وليس في الحكمة الإلهية أن يولى على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم، ولما كان الصدر الأول خيار القرون وأبرها، كانت ولاتهم كذلك، فلما شابوا شابت لهم الولاة).(١)

أما قارون، فكان يمثل في حاشية فرعون صاحبَ النفوذ والمال والجاه المنتفع بكل ذلك، ولقد ذُكر قارون في ارتباطه بفرعون وهامان في موضعيْن في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴿٣٩﴾.(٢)

وقَالَ تَعَالَىٰ: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ .(٣)

(فالاستبداد لو كان رجلاً وأراد أن يحتسب وينتسب لقال: أنا الشر وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر، وأختي المسكنة، وعمي الضر، وخالي الذل، وابني الفقر، وبنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب، أما ديني وشرفي فالمال المال المال، فالمال يصح في وصفه أن يقال: القوة مال والوقت مال، والعقل مال، والعلم مال، والدين مال، والجاه مال، والجمال مال، والترتيب مال، والاقتصاد مال، والشهرة مال، والحاصل كل ما ينتفع به في الحياة هو مال).(٤)

ولأن الامتيازات المادية وغيرها مستمدة من وجود النظام الطاغوتي ومرتهنة ببقائه، سعت قوم فرعون وملأه إلى الطغيان، قَالَ تَعَالَىٰ: وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴿٨٨﴾.(٥)

فحاشية السلطان دائما ما تصطنع فريقاً كبيراً من غمار الشعب حيث تمنحه القليل من المال، وتتيحه جزء من السلطة، فيكون لها الخادم المطيع، والحارس الأمين الذي تقمع الشعوب به عند أي محاولة للخلاص.

(فإن هذه المناصب تغري النفوس الطامعة، وتجعل الكثيرين يتوقون إلى اعتلائها، فلما جاء الإسلام وبدأت هداياته تشرح الصدور بالحق، وأحست الشعوب بأنها كانت ضحايا لصوصيات كبيرة، وعرف أنه ما من حق إلا بإزائه واجب، وأن الحاكم فرد يختاره الجمهور ليأخذ منه أكثر مما يعطيه).(٦)

ففي قوله تعالى: وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ .(٧)

(فالذين طغوا في البلاد يعني عادا وثمودا وفرعون عملوا بالمعاصي، وتجبروا، ثم فسر ذلك الطغيان بقوله فأكثروا فيها الفساد يعني القتل والفساد ضد الصلاح، فكما أن الصلاح يتناول جميع أقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع أقسام الإثم).(٨)

---

(١) مفتاح دار السعادة – ابن القيم – ١ / ٢٥٣.
(٢) سورة العنكبوت: آية ٣٩.
(٣) سورة غافر: آية ٢٣ – ٢٤.
(٤) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد – الكواكبي – ص ٧٥.
(٥) سورة يونس: آية ٨٨.
(٦) الإسلام والاستبداد السياسي – الغزالي – ص ٨٥.
(٧) سورة الفجر: آية ١٠-١١.
(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل – الخازن – ٤٢٦/٤.

(فَصَبَّ عَلَيْهِمْ المولي عز وجل سَوْطَ عَذابٍ يعني لونا من العذاب صبّه عليهم، فكلّ يوم لون آخر من العذاب، وقيل: وجع العذاب، وقيل هذا على الاستعارة لأنّ السوط عند أهل المعاني غاية العذاب، فجرى ذلك لكلّ عذاب. قال الشاعر:

(ألم تر أنّ الله أظهر دينه ... وصبّ على الكفّار سوط عذاب).(١)

(لا يصلح السلطان إلا بالوزراء، ومثل الملك الخير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه، كالماء الصافي التمساح، فلا يستطيع المرء دخوله، وإن كان ساذجاً وإلى الماء محتاجاً، ومثل السلطان كمثل الطبيب، ومثل الرعية كمثل المرض، ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضي والأطباء، فإذا كذب السفير بطل التدبير).(٢)

(فالأيدي بأصابعها، والملوك بصنائعها، وان وزير الملك عينه وأمينه وأذنه، وكاتبه نطقه، وصاحبه خلقه، ورسوله عقله، ونديمه مثله، بهم تستقيم الأعمال وتجتمع العمال، ويقوى السلطان وتعمر البلدان، فإذا استقاموا استقامت الأمور، وإذا اضطربوا اضطرب الجمهور).(٣)

فحاشية السلطان طغيان في البلاد وفساد للعباد، يسرقون أرزاق وقوت الشعوب، فمعظم حاشية الحكام الطغاة أثرياء إن لم يكن كلهم، يميلون إلى الترف والبذخ والمجون، والمترفون معرفون بأنهم أعداء كل إصلاح، وخصوم للحق. (فقرر القرآن الكريم أن المترفين أعداء كل إصلاح، وأنهم خصوم الحق، المتألبون ضده في كل زمان ومكان، تكاد لا تنبت دعوة للحق والشرف حتى ينأوا عنها، ويقرر القرآن أن الطبقات المترفة مصدر فساد عريض ومثار فتن متجددة، وان أساس التأخر وسبب الدمار الذي يصيب الأوطان والشعوب؛ هو من هذه الطبقات، قَالَ تَعَالَىٰ: وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ".(٤)

(لما كان الملك المترف يفسد الأمة حتي تهلك، كان الملك الصالح يصلح الأمة الفاسدة باتخاذ الوزراء والقواد والبطانة والحاشية له من الصالحين المصلحين الذين يقيمون ميزان الحق والعدل، ويكونون قدوة للناس في العفة والاعتدال والقصد، ويأخذون على أيدي أهل الفحشاء والمنكر والبغي فيقلدهم الأكثرون، ويرهب جانبهم الأشرار والمفسدون فتقوي دولتهم، وتعز أمتهم، حتي يمكن الله لهم في الأرض ويجعلهم من الوارثين، قَالَ تَعَالَىٰ: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ")(٥).(٦)

ويرجع ذلك إلى أن حياة الترف تحول دائماً دون مشاغل العمل وأسباب الكفاح، ولا يتسع الميدان فيها إلا للبطالة واللهو).(٧)

كان حرص الحكام المستبدين الإغداق على حاشيتهم من الأموال، والبذخ والإسراف والترف الذي كان يعيشون فيه من أموال الشعوب، غير مكترثين بفقر الشعوب والبؤس والحرمان الذي تعيش فيه تلك الشعوب.

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن – الثعلبي – ١٠/٢٠٠.
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف – شهاب الدين الأبشيهي – ص١١٨.
(٣) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة – محمد بن علي القلعي – ص ١٣٨.
(٤) سورة الإسراء: آية ١٦.
(٥) سورة الأنبياء: آية ١٠٥.
(٦) السياسة الشرعية عند الامام محمد رشيد رضا دراسة فقهية مقارنه – د/ محمود سعد محمود مهدي – دار النوادر اللبنانية – ط١– ١٤٣٥ه – ٢٠١٤م – ص٢٦٠.
(٧) الإسلام والأوضاع الاقتصادية – محمد الغزالي – ص ٥١.

(فحرص الحكام أن ينقلوا إلى حياتهم ما وجدوه أو عرفوا عنه في حياة الأكاسرة والقياصرة، من البذخ والإسراف، والتلاعب بأموال الأمة، وعدم الاكتراث بما تكون عليه العامة من البؤس والفقر والحرمان، فلم يكونوا يهتمون إلا بشهواتهم ولا يلتفتون إلا إلى ملذاتهم).(١)

ولقد علل البوطي هذا الترف والبذخ لدى المسلمين بأن:

(المسلمون فتحوا أعينهم على ما يمتاز به حكام العالم وملوكه من مظاهر الهيبة والأبهة في الملبس والمسكن والخياطة والحجابة، فاتجهت الأنظار إلى الأخذ بذلك كله أو شئ منه، واقتنع أكثر الناس أن الخليفة لم يعد يصلحه للنهوض بواجباته تجاه الأمة إلا أن يعيش وسط هالة من الهيبة والأبهة والحماية، وإنما يكون ذلك من خلال المظهر الذي يبدو فيه، والمسكن الذي يستقبل فيه شتى فئات الناس، والحماية التي يجب أن تحيط به).(٢)

(فالأغنياء أعداؤه فكراً وأوتاده عملاً، فهم ربائط المستبد، يذلهم فيئنون، ويستدرهم فيحنون، ولهذا يرسخ الذل في الأمم التي يكثر أغنياؤها، أما الفقراء فيخافهم المستبد خوف النعجة من الذئاب، ويتحبب إليهم ببعض الأعمال التي ظاهرها الرأفة، يقصد بذلك أن يغصب أيضاً قلوبهم التي لا يملكون غيرها، والفقراء كذلك يخافونه خوف دناءة ونذالة، خوف البغاث من العقاب، فهم لا يجرؤن على الإفتكار فضلاً عن الإنكار، كأنهم يتوهمون أنَّ داخل رؤوسهم جواسيس عليهم، وقد يبلغ فساد الأخلاق في الفقراء أن يسرهم فعلاً رضاء المستبد عنهم بأي وجه كان رضاؤه).(٣)

لذا نجد أن الفقراء والمستضعفين هم الذين يبدءون باتباع الرسل، وهم أول من يواجه الاستبداد والطغيان، ويضحون بأقواتهم في سبيل الكرامة والعدالة.

(فالمستضعفون هم الذين يبدءون الإيمان دائماً بالثورة على الطغيان والعدوان، وهم الذين يتحملون عبء المقاومة، وهم الذين يضحون في سبيل ذلك، سبيل الأنفس وبما يملكون من مصادر رزقهم: من حرف صغيرة، وتجارة متواضعة، ورعي لبعض الغنم أو الإبل، وما شاكل ذلك، وإذا ضحوا في سبيل الإيمان بالحق بهذه المصادر المتواضعة في الرزق، فإن هذه التضحية كبيرة في واقع الأمر لأنها تعلقت بكل مصدر معيشتهم لهم ولأولادهم وأسرهم ومن يعولون من ذوي الأرحام).(٤)

المبحث الثالث: طغيان الأفراد كما يراه القرآن الكريم

ويشمل المبحث الثالث على المطالب التالية:

المطلب الأول: طغيان فرعون.

المطلب الثاني: طغيان قارون.

المطلب الأول: طغيان فرعون:

قَالَ تَعَالَىٰ: وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ

(١) الاستبداد مظاهره ومواجهته – أحمد الخليلي – ١٤٩.
(٢) السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي – البوطي – ص ٤٦.
(٣) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد – الكواكبي – ص ٧٥.
(٤) الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر – د / محمد البهي – ص ٨٣.

وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠.[1]

يقول السعدى في تفسيره:

(وقال فرعون متجرئا على ربه، وممو ها على قومه السفهاء، أخفاء العقول: { يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري } أي: أنا وحدي، إلهكم ومعبودكم، ولو كان ثم إله غيري، لعلمته، فانظر إلى هذا الورع التام من فرعون!، حيث لم يقل " ما لكم من إله غيري " بل تورع وقال: { ما علمت لكم من إله غيري } وهذا، لأنه عندهم، العالم الفاضل، الذي مهما قال فهو الحق، ومهما أمر أطاعوه، فلما قال هذه المقالة، التي قد تحتمل أن ثم إلها غيره، أراد أن يحقق النفي، الذي جعل فيه ذلك الاحتمال، فقال لـــ " هامان " { فأوقد لي يا هامان على الطين } ليجعل له لبنا من فخار. { فاجعل لي صرحا } أي: بناء { لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين } ولكن سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسى. فانظر هذه الجراءة العظيمة على الله، التي ما بلغها آدمي، كذب موسى، وادعى أنه إله، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب، ليتوصل إلى إله موسى، وكل هذا ترويج، ولكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشئونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم).[2]

(فازداد استبداد فرعون تحت غطاء الدين؛ فالناس بطبعهم يخشون الخروج على رأى الدين ومخالفة الإله، ولا شك أن رجال الدين في عصره لعبوا دوراً كبيراً في هذه القضية وإعطاء فرعون صفة القدسية، فهو -بزعمهم- إله لا يخطئ ولا يجوز الخطأ عليه، وهى نفس الممارسة التي مارستها الكنيسة على الناس في عصور الظلام في أوروبا؛ فبإيم الدين تكمم الأفواه وتجسم الكلمة، ولهذا كانت ثورة الناس في أوربا على الدين كل الدين، لانهم ظنوا أن كل دين هو كدين الكنيسة، بمعنى أن رفضهم للدين كان من واقع تجربتهم مع الدين المحرف، وما من شك أن ديانة الفراعنة ليست سوى خرافات وأساطير قصد منها تحقيق مصالح المستفيدين منها).[3]

ويخاطب المولي عز وجل سيدنا موسي عليه السلام بالذهاب الى فرعون ودعوته لإنه طغي قَالَ تَعَالَىٰ: ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤.[4]

(فاذهب إلى فرعون إنه طغى يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد وإنما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مبعوثا إلى الكل لأنه ادعى الإلهية وتكبر متبوعا فكان ذكره الأولى).[5]

(واذهب إلى فرعون إنه طغى عصى وعلا وتكبر وكفر، فادعه إلى عبادتي، واعلم بأني قد ربطت على قلبه، قال: فكيف تأمرني أن آتيه وقد ربطت على قلبه؟ فأتاه ملك من خزان الريح فقال: انطلق، فإنا اثنا عشر من خزان الريح منذ خلقنا الله سبحانه نحن في هذا فما علمناه، فامض لأمر الله، فقال موسى عند ذلك رب اشرح لي صدري وسع ولين قلبي بالإيمان والنبوة ويسر لي أمري وسهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون واحلل وابسط وافتح عقدة من لساني قال ابن عباس: كانت في لسانه رتة، وذلك أنه كان في حجر فرعون ذات يوم فلطمه لطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لآسية امرأته: ان هذا عدوي، فقالت

---

(1) سورة القصص: آية ٣٨-٤٠.
(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدى – ٦/٢٤-٢٥.
(3) شخصية فرعون في القرآن – قاسم توفيق قاسم خضر – رسالة ماجستير – ص٥٧.
(4) سورة طه: آية ٢٤.
(5) لباب التأويل في معاني التنزيل – الخازن – ٣/٢٠٤.

آسية: على رسلك إنه صبي لا يفرق بين الأشياء ولا يميز، ثم جاءت بطستين فجعلت في أحدهما الجمر وفي الأخرى الجوهر ووضعتهما بين يدي موسى، فأخذ جبرئيل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرة ووضعها على لسانه فتلك الرتة يفقهوا قولي كي يفهموا كلامي واجعل لي وزيرا معينا وظهيرا من أهلي ثم بين من هو فقال هارون أخي اشدد به أزري قو به ظهري وأشركه في أمري يعني النبوة وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيرا نصلي لك ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا).[١]

ففرعون ادعى الألوهية بشكل صريح، وغيره من الحكام الطغاه أدعوا أنهم ظل الله في الأرض وأنهم لا يسألون عما يفعلون.

(فإدعاء المستبد للقدسية حدا بالكثير إلى الظن أن الاستبداد السياسي هو ابن الاستبداد الديني، وكانوا يشيرون بذلك إلى استبداد رجال الكنيسة في القرون الوسطى واستبداد سلاطين المسلمين، وفاتهم أن هناك ألوانا كثيرة من الاستبداد السياسي لم تكن وليدة الاستبداد الديني أي الاستبداد المنسوب زوراً وبهتانا إلى الرب، وما دام الحاكم المستبد مقدساً بحكم انه يمثل إرادة الله في الأرض، فلا يجوز معارضته سياسياً، وبذلك ينمحي النشاط السياسي المعارض ويعتبر من قبيل التمرد، بل هو الكفر والزندقة).[٢]

ففرعون هو رمز الطغيان، فهو صاحب أكبر كذبة في التاريخ وهى ادعاء الالوهية، فاستبد فرعون جوارح الانسان كلها، فاستبد جسم الانسان بالاستبداد السياسي قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾[٣]، واستبد الافواه فقال ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾[٤] وأستبد بالعقول فقال ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾[٥]، واستبد بالازرع والأرجل فقال ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٢٤﴾[٦]، ودخل إلى القلوب وإلى عالمها ليستبد بها في صورة من صور الاستبداد الديني مدعياً فيها الالوهية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾.[٧]

(أنا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن اليكم، وليس للعالم إله حتى يكون له عليكم أمر ونهى؛ فليس لأحد عليكم أمر ولا نهى إلى لي).[٨]

لذا أرسل المولي عز وجل سيدنا موسي إلى فرعون ليرده عن طغيانه

(اذهب إلى فرعون لترده عن عتوه: ثم علل الإرسال إلية بقوله مؤكداً لأن طغيان أحد بالنسبة إلى شيء مما للملك الأعلى مما يستبعد: ففرعون تجاوز حده من العبودية فادعى الربوبية، وأشار إلى ما حصل له من الضيق من ذلك بما عرف من أنه أمر عظيم، وخطب جسيم، يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن – الثعلبي – ٢٤٣/٦.
(٢) الاستبداد ودورة في انحطاط المسلمين – نبيل هلال هلال – ص٨٦.
(٣) سورة القصص: آية ٤.
(٤) سورة الزخرف: آية ٥١.
(٥) سورة غافر: آية ٢٩.
(٦) سورة الأعراف: آية ١٢٤.
(٧) سورة النازعات: آية ٢٣-٢٤.
(٨) مفاتيح الغيب – الرازى – ٤٩/٣١.

جأش رابط وصدر فسيح قلب ضابط).[1]

(فإذهب إلى فرعون ملك مصر، الذي خرجت فاراً منه وهارباً فادعه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومره فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم، فإنه قد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الرب الأعلى).[2]

فمن أساليب الطغاة المستبدين التي يتوسلون بها للاستخفاف بالشعوب وبث سيطرتهم عليها الاستبداد بالدين، ادعاء الالوهية والربوبية صراحة أو ضمنا، وهذا الامر واضحا جلياً في القرآن الكريم، فقد ذكر القرآن الكريم عدد من الملوك الطغاة أوصلهم طغيانهم الديني إلى ادعاء الربوبية والألوهية صراحة وضمنا، وهذا ما حدث مع فرعون الطاغية.

لم يكتف فرعون بإعلان الربوبية وحدها، بل تجاوز ذلك ليعين أنه الإله الذي لا بد أن تتخذه الرعية مع عدم نفى احتمال أن تكون هناك آلهة أخرى غيرة، فقال كما حكى عنه القرآن الكريم وهو يخاطب موسى (عليه السلام)قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾.[3]

إلا ان فرعون استبد باسم الدين أكثر؛ ولا سيما بعد أن حاول الرجل المؤمن من حاشيته إقناعه وملئه بإتباع موسى (عليه السلام)؛ فأعلن انه الإله الوحيد، وليثبت للرعية صدق دعواه تلك طلب من هامان رئيس الكهنة وساعده الأيمن أن يبنى له صرحاً ليثبت للعامة أنه الإله الوحيد، وأنه لا وجود لإله آخر كما يدعى موسى (عليه السلام)؛ فقال كما نقل عنه القرآن الكريم ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾.[4]

فإذا كان فرعون هو رب الملا فما بالك بالعامة؟ فمن باب أولى أنه رب الرعية وإلهها.

(فهناك فئة من الناس المتعاظمين تواسى باسم الدين الأمة فتقول: يا بؤساء هذا قضاء من السماء لا مرد له؛ فالواجب تلقيه بالصبر والرضا والالتجاء إلى الدعاء؛ فاربطوا ألسنتكم عن اللغو والفضول، واربطوا قلوبكم بأهل السكينة والخمول، وإياكم التدبر فإن الله غيور، وليكن وردكم: اللهم أنصر سلطاننا، وآمنا في أوطاننا، وأكشف عنا البلاء، أنت حسبنا ونعم الوكيل).[5]

(ونجد العوام لم يفرقوا مثلا بين الفعال المطلق، والحاكم بأمره، وبين لا يُسأل عما يفعل وغير مسئول، وبين المنعم وولى النعم، وبين جَلّ شأنه وجليل الشأن، بناء عليه يعظمون الجبابرة تعظيمهم لله، ويزيدون تعظيمهم على تعظيم الله، لأنه حليم كريم، ولان عذابه آجل غائب أما انتقام الجبار فعاجل حاضر، والعوام كما يقال عقولهم في عيونهم، ويكاد لا يتجاوز فعلهم المحسوس المشاهد، حتى يصح أن يقال فيهم: لولا رجائهم بالله وخوفهم منه فيما يتعلق بحياتهم الدنيا، لما وصلوا ولا صاموا، ولولا أملهم العاجل، لما رجحوا اقراءة الدلائل والأوراد على قراءه القرآن، ولرجحوا اليمين بالأولياء المقربين كما يعتقدون على اليمين بالله، وهذه الحال؛ هي التي سهلت في الأمم الغابرة المنحطة دعوى بعض المستبدين الألوهية على مراتب مختلفة، على حسب استعداد اذهان الرعية، حتى يقال: إنه ما من مستبد سياسي إلى الان إلا ويتخذ له صفه قدسية يشارك بها الله، أو تعطيه مقام ذي علاقة

---

(1) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور – البقاعي – ٢٨٣/١٢.
(2) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٢٨١/٥.
(3) سورة الشعراء: آية ٢٩.
(4) سورة القصص: آية ٣٨.
(5) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد – الكواكبي – ص٣٥.

مع الله، ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين يعينونه على ظلم الناس باسم الله، وأقل ما يعينون به الاستبداد، تفريق الأمم إلى مذاهب وشيع متعادية تقاوم بعضها بعضاً فتتهاتر قوة الامة ويذهب ريحها، فيخلو الجو للاستبداد ليبيض ويفرخ).[١]

لذلك أمر المولي عز وجل موسي وهارون بدعوة الطاغية، قَالَ تَعَالَىٰ:ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾.[٢]

(فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى، كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، بمعنى: لتأخذ أجرك، وافرغ من عملك لعلنا نتغدى، بمعنى: لنتغدى، أو حتى نتغدى، ولكلا هذين القولين وجه حسن، ومذهب صحيح).[٣]

إذا نظرنا إلى الطاغية الأعظم فرعون الذي جمع بين أنواع وصور الاستبداد سواء: استبداد عقدي أو استبداد اقتصادي أو علمي ..... إلخ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾.[٤]

(أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعم والخير، وما فيه موسى من الفقر وعى اللسان، افتخر بملك مصر هذا الطاغية، وما قد مكن له من الدنيا ما هو إلا استدراج من الله له، وحسب أن الذي هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله، وأن موسى إنما لم يصل إلى الذي يصفه، فنبه من أجل ذلك إلى المهانة محتجاً على جهلة قومه بأن موسى (ﷺ) لو كان محقا فيما يأتي به من الآيات والعبر، ولم يكن ذلك سحراً لأكسب نفسه من الملك والنعمة، مثل الذي هو فيه من ذلك جهلاً بالله واغتراراً منه بإملائه إياه).[٥]

ففرعون يخدع الجماهير بالبريق الزائل، وفى الآية السابقة إشارة إلى ما كان فيه فرعون اللعين من ثراء فاحش، فملك الأموال والثروات والنعم، وسخر كل ذلك لمتعه ونزواته واستبد بها اقتصادياً على شعبه.

(الفراعنة والاكاسرة والقياصرة في القرون الأولى كانوا يستهلكون أقوات الأمم في مباذلهم وملاهيهم، فلما أسس محمد بن عبد الله (ﷺ) الدولة الإسلامية الأولى كان مسلكه يتناقض أتم المناقضة مسلك أولئك الجبارين من لصوص الشعوب).[٦]

بل من شدة سيطرة المادة على فرعون امر وزيره هامان ببناء لم يحدث من قبل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.[٧]

(فأمر فرعون وزيره هامان ومدير رعيته ومشير دولته أن يوقد له على طين الأرض، ليتخذ له أجراً لبناء الصرح، وهو القصر المنيف الرفيع، كما قال في الآية الأخرى ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ

---

(١) المصدر نفسه – ص٢٢.
(٢) سورة طه: آية ٤٣.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ٣١٤/١٨.
(٤) سورة الزخرف: آية ٥١.
(٥) جامع البيان في تأويل آى القرآن – الطبري – ٦١٧/٢١.
(٦) الإسلام والاستبداد السياسي – محمد الغزالي – ص٦٢.
(٧) سورة القصص: آية ٣٨.

ٱلْأَسْبَبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾).[1]

وذلك لأن فرعون بنى هذا الصرح الذي لم ير في الدنيا بناء أعلى منه، إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون؛ ولهذا قال (وأنى لأظنه من الكاذبين) أي: في قوله إن ثم ربًّا غيرى، لا أنه كذبه في أن الله أرسله؛ لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع.[2]

هكذا نجد أن قصة سيدنا موسي عليه السلام مع فرعون ذكرت كثيراً في القرآن الكريم.

(فذكر الله تعالى قصة موسى وفرعون تسلية للرسول الكريم على ما يلاقيه من قومه، بحكم تكذيبهم له وإنكارهم للبعث، وتماديهم في العتو والطغيان. وذلك أن فرعون مع أنه كان أقوى من كفار قريش وأشد منهم شوكة وأعظم سلطانا فإن الله أخذه حين تمرد على ربه ولم يؤمن بموسى، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابه، وقصة موسى وفرعون من أكثر القصص التي ترد في القرآن في اساليب متنوعة).[3]

تحدث القرآن الكريم كثيراً عن الظلم والمظلومين، وتعددت معاني الظلم في القرآن الكريم بحسب السياقات، ومعظم معاني الظلم في القرآن الكريم تدور حول: منع الحق ومجاوزته، ووضع الشيء في غير موضعه، فمعظم معاني الظلم في القرآن مرادفه الاستبداد والطغيان.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾.[4]

(كانوا هم أشد ظلما لأنفسهم، وأعظم كفرا بربهم، وأشد طغيانا وتمردا على الله من الذين أهلكهم من بعد الأمم، وكان طغيانهم الذي وصفهم الله به، وأنهم كانوا بذلك أكثر طغيانا من غيرهم من الامم).[5]

وفى البحر المحيط: (جعلهم أظلم واطغى لأنهم كانوا في غاية العتو والإيذاء لنوح (عليه السلام)، يضربونه حتى يكاد يتحرك).[6]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.[7]

أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.[7]

(إنما المؤاخذة على الذين يتعدون على الناس ظلما وعدوانا، ويتجاوزون الحد الذي اباحه لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون في الأرض بغير الحق، وأولئك لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع).[8]

الظلم ورد في القرآن الكريم بمعني وضع الشيء في غير موضعه، أو تجاوز الحق إلى الباطل، ومجاوزة الحد، وهو ما يرادف معني الاستبداد السياسي، وفرعون سماه المولي (عز وجل) في كتابه طاغياً وظالماً، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[9]

---

(1) سورة غافر: آية ٣٦-٣٧.
(2) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٢٣٨/٦.
(3) تيسير التفسير – إبراهيم القطان – ٤٠٤/٣.
(4) سورة النجم: آية ٥٢.
(5) جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري – ٥٥٣/٢٢.
(6) البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي – ٢٧/١٠.
(7) سورة الشورى: آية ٤٢.
(8) التفسير الميسر – نخبة من أستاذة التفسير – ص٤٧٨.
(9) سورة الشعراء: آية ١٠.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ ﴾[١]

قال ابن تيميه[٢] – رحمه الله:

(سمي المولى (ﷻ) فرعون طاغياً وظالماً ومفسداً قبل مجيئ موسي (عليه السلام) إليه).[٣]

فالنجاشي ملك الحبشة كان نصرانياً ووصفه النبي (ﷺ) بأنه "ملك صالح" وأنه "ملك لا يُظلم عنده أحداً"، وأمر المسلمين أن يفروا إلى الحبشة، وأن يهاجروا إليها فراراً من ظلم المشركين.

ففي كتب السير: (أن عمرو بن العاص كان على الجاهلية عندما وفد على النجاشي جماعة المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، وأراد عمرو أن يسلمه النجاشي هؤلاء المسلمين فذهب إليه مع أعوانه محملاً بالهداية الثمينة، طالباً منه أن يسلمه المسلمين فرفض النجاشي أن يسلمهم له دون أن يسمع لهم فدعاهم النجاشي ولما حضروا صاح جعفر بن ابى طالب بالباب "يستأذن عليك حزب الله" فقال النجاشي: مروا هذا الصائح فليعد كلامه، ففعل قال نعم فليدخلوا بإذن الله وذمته، فدخلوا ولم يسجدوا له، فقال ما منعكم أن تسجدوا لي؟ قالوا: إنما نسجد لله الذى خلقك وملكك، وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان، فبعث الله فينا نبياً صادقاً وأمرنا بالتحية التي رضيها الله، وهى "السلام" تحية أهل الجنة، فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل فأراد عمر أن يغضب النجاشي، فقال إنهم يشتمون عيسى وأمه، فقال ما تقولون في عيسى وأمه؟ فقرأ عليهم سورة مريم، فلما أتى على ذكر عيسى (عليه السلام) وأمه دفع النجاشي بقشه من سواكه قدر ما يقذى العين، فقال والله ما زاد المسيح على ما يقولون نقيرا، ورفض النجاشي أن يسلم المسلمون لعمرو بن العاص بعد أن سمع منهم، وأمنهم في بلده، وعاد المسلمون إلى الحبشة مرة أخرى عقب فتح خيبر وعلى رأسهم جعفر بن أبى طالب، وفرح الرسول (ﷺ) بهم كثيراً حتى أنه قال: ما أدرى بأيهم أنا أشد فرحاً؛ أبقدوم جعفر أم بفتح خيبر).[٤]

فهذا ملك الحبشة ليس مسلماً، فهو على النصرانية فدفعه وازعه الديني للإيمان بقيم الحق والعدل، والبعد عن الاستبداد والظلم، فعلى الرغم من أن ملك الحبشة ليس مسلماً

فالمولى (ﷻ) يقول في محكم التنزيل: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾[٥]، **فإن وازعه الديني دفعه إلى الايمان بقيم الحق.**

علّق الإمام الطبري رحمه الله على هذه الآية بأن: (من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه، فإتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله، ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك، وخالف هواها إلى ما أمر به ربه فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة).[٦]

---

(١) سورة القصص: آية ٤.

(٢) ابن تيمية هو: (احمد بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى الحرانى الدمشقى الحنبلى، أبو العباس، تقى الدين ابن تيمية، شيخ الإسلام، ولد في حران، ومات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة (٧٢٨) هجرية). انظر: (الأعلام – الزركلى – ١٤٤/١).

(٣) الفتاوي – ابن تيميه– ٢٠/٣٧.

(٤) انظر: السيرة النبوية – ابن هشام – ٢٣٥/١، البداية والنهاية – ابن كثير – ١٠٥/٣.

(٥) سورة النازعات: آية ٣٧ – ٤١.

(٦) جامع البيان في تأويل آى القرآن – الطبرى – ٢١٢/٢٤.

فالنبي (ﷺ) وظف رجلاً على الزكاة، فلما قدم هذا الرجل قال: هذا لكم، وهذا أهدى إليَّ فلما رأى الرسول (ﷺ) هذه الهدايا قدمت له من غير حق صعد المنبر فقال: ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول هذا اهدى اليَّ، فهلا جلس في بيت ابيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا؟ والذى نفسى بيده لا يأتي أحدكم بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيراً له رُغاء "صوته"، أو بقرة لها خوار "صوتها"، أو شاة تبْعَر "صوتها" .....).[١]

فالحاكم الذي يطمع ينهب الأموال والأقوات، والمسئول يأخذ ما لا يحل له؛ فالمسئول والحاكم لا يجوز له أخذ الهدايا ما دام في مكان المسئولية.

(فالاستبداد السياسي لا يبالى من أين يأخذ المال ولا أين يضعه وقد نكب المسلمون من قديم بنفر من القطاع، وقعت في أيديهم غنيمة الحكم فتقاسموها نهمين، ولم يعرفوا من المناصب التي سقطت في أيديهم إلا أنها منابع ثروة للشباب الجامح والترف والافراط أما مصطلح الأمة فلا وزن لها).[٢]

فالطاغية لا يلقى اهتماما ولا يتورع في أخذه للمال، وإن كان ليس من حقه، ويضع هذا المال في مصلحته الشخصية لا لمصلحة رعيته، والإسلام ابتلى بأشخاص من هؤلاء، ونسوا قول النبي (ﷺ): (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟).[٣]، فهذا المال ستحاسب عليه مرتين من أين اكتسبته وفيما أنفقته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾.[٤]

(جمع فرعون قومه فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها، مخاطباً شعبه فلا ترون ما أنا فيه كم العظمة والملك، وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء[٥]، ففرعون افتخر بملك مصر، وما قد مكن له من الدنيا وما هو إلا إلا استدراج من الله له، وحسب أن الذى هو فيه من ذلك ناله بيده وحوله، وإن موسى إنما لم يصل إلى ذلك الذى يصفه، فنسبه من أجل ذلك إلى المهانة محتجاً على جهلة قومه بأن موسى (عليه السلام) لو كان محقاً فيما يأتي به من الآيات والعبر، ولم يكن ذلك سحراً، لأكسب نفسه من المال والنعمة مثل الذى هو فيه من ذلك جهلاً بالله واغترار منه بإملائه إياه).[٦]

ففرعون مصاب بداء الطمع المذموم، هذا الداء يجعل الحاكم يصاب بنوع من الصرع وجنون العظمة، ويفتخر بالمال الذي جمعه من أفواه أطفال الرعية، ومن أدواء المسنين، وأحلام الشباب؛ فليته سرق أموال

---

(١) المسند – أحمد بن حنبل – الحديث رقم ٢٢٩٧٣.
(٢) الإسلام والاستبداد السياسى – محمد الغزالى – ص٥٨.
(٣) رواه الترمذي رقم (٢٤١٩) – في صفة القيامة – باب رقم (١) – وقال: حسن صحيح – وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة رقم (٩٤٦) – وهو في صحيح الجامع رقم (٧٢٩٩).
(٤) سورة الزخرف: آية ٥١ – ٥٤.
(٥) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٢٣٠/٧.
(٦) جامع البيان في تفسير آى القرآن – الطبري – ٦١٧/٢١.

الشعب ونهب قوتهم فحسب، بل يفتخر بالمال المنهوب على صاحب المال، كما فعل فرعون مع قومة، فالحكام المستبدين عبدوا المال والجمال.

(فالمولى (ﷻ) بسط سلطان الإنسان على الأكوان، فطغى وبغى، ونسى ربَّه وعبد المال والجمال، وجعلها منيته ومبتغاه، كأنه خلق خادماً لبطنه وعضوه فقط، لا شأن له غير الغذاء والتّحاك، وبالنظر إلى أن المال هو الوسيلة الموصلة للجمال كاد ينحصر أكبرهم للإنسان في جمع المال، ولهذا يُكنَّى عنه بمعبود الأمم ويسرَّ الوجود).[١]

وإذا وصل الإنسان إلى أن يكون حاكماً طاغيا مستبداً، وظف الأموال التي ينهبها من الشعب في ممارسة طغيانة وتثبيته، بل جعل هذا المال ركنا من أركان طغيانه واستبداده.

فالمال زينة وجمال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[٢]، **وهذه الزينة يسعى في الحصول عليها الحاكم والمحكوم، فمنهم من يصيبه الطمع، ومنهم من يرضى بما قُسم له؛ ولكن الحاكم إذا كان مستبداً كان الطمع مبتغاه وديدنه، وخطر في الاذهان أن المسئول في مكان هو أكثر شخص يستطيع الحصول على الأموال، لأنه المسئول وحبذا لو كان حاكما على الرعية، حينها يحصل على المغانم التي يريدها.**

فالمال من أعظم النعم لذا المولى (ﷻ) حث على المحافظة عليه، وتحصيل هذا المال بالطرق المشروعة، سواء كان هذا الانسان حاكم أو محكوم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.[٣]

(فالقرآن الكريم اعتنى بالمال، والمحافظة عليه، والحث على تحصيله بطرق مشروعه، في كثير من الآيات، وفى هذه السورة جاءت العناية بالأموال من أولها عندما طلبت العناية باليتامى، وحفظ أموالهم، ثم حذرت من إعطاء السفهاء أموالهم، وهنا جاء النص واضحاً على العناية بالأموال والمحافظة عليها، وذلك لأن الاموال عنصر لا بد منه في الحياة، وهناك كثير من الأمور تتوقف عليها الأموال وسعادتها، من علم، وصحة، واتساع عمران، لا سبيل للحصول عليها إلا بالمال، ولا ريب أن الأموال هنا تشمل أموال الأفراد وأموال الأمة لأنه تعالى قال: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم﴾ **بمعنى أنه يحرم على الافراد أن يأكلوا مال بعض بالباطل، ومن ثم فإن أكل أموال الأمة أو وضعها في غير مصلحتها لهو أشد حرمه عند الله، وأكبر جرما في نظر الإنسانية، لذلك يجب الحفاظ على أموال الأمة والدولة كما نحافظ على أموال الافراد، فقال:** ﴿أَمْوَٰلَكُم﴾ **فأضافها إلى جميع الامة تنبيها الى تكافل الأمة في الحقوق والمصالح كأن مال كل فرد هو مال الأمة جميعاً، فإذا استباح أحدهم أن يأكل مال الآخر بالباطل، فقد أباح لغيره أن يأكل ماله).**[٤]

(يحذر المولى (ﷻ) من أكل مال بعضكم بغير الحق، ولكن تجوز لكم التجارة بالتراضى منكم، ولا تهلكوا أنفسكم بمخالفة أوامر ربكم، ولا يجنى أحدكم على أخيه فإنما هي نفس واحدة، إن الله دائم الرحمة بكم).[٥]

---

(١) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد – الكواكبي – ص٧٩.
(٢) سورة الكهف: آية ٤٦.
(٣) سورة النساء: آية ٢٩.
(٤) تيسير التفسير – إبراهيم القطان – ص٢٨٥.
(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم – لجنة علماء الازهر – ص١١٣.

فالمال من أعظم النعم، لذا أمر المولى (ﷻ) الحاكم والمحكوم بحسن استغلاله وضرورة حفظة ووقايته من التلف والخسران.

(فأهمية المال تنبع من كونه أجلَّ وأعظم نعم الله تبارك وتعالى على الإنسان فقد سخره لنا (ﷻ)، وأمدنا به ليكون وسيلة آداء الرسالة التي خلقنا من أجلها وهى عبادته تعالى لتحقيق خلافته على الأرض، فقد خلق الله تبارك وتعالى الانسان واستخلفه في الأرض، وسخر له ما في السموات والأرض، وألهمه وعلمه القوانين التي تعينه على ذلك).[1]

فالحاكم الذى يطمع في حق رعيته، ويُؤثرُ الدنيا وتصبح الدنيا همه ومبتغاه فقد كان الوعيد من المولى (ﷻ) بالجحيم جزاء طمعه وحبه الشديد للدينا، وأخذه لحقوق رعيته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[2]

(فمن آثر الحياة الدنيا على كرامة الآخرة، وما أعد الله فيها لأوليائه، فعمل للدنيا، وسعى لها، وترك العمل للآخرة فإن نار الله التي اسمها الجحيم، هي منزله ومأواه، ومصيره الذى يصير اليه يوم القيامة).[3]

لذلك كانت وصية النبي (ﷺ) لسيدنا ابى هريرة (رضي الله عنه)، يحثه فيها عن القناعة وعدم الطمع؛ فقال (ﷺ) (يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس .....).[4]

فالحاكم أو الانسان بشكل عام إذا أصابه الطمع، يصبح الكثير في يده قليل فالإنسان فطر على حب المال والجمال والجاه ... إلخ، وهذا الحب إذا زاد عن حده، فإنه مذموم وممقوت، فالقناعة خير علاج، وأفضل وقاية من الوقوع في غير المرغوب، ولله درٌّ من قال:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تُــرد إلى قليل تقنع
فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ومنهم شقى بالمعيشة قانع

فهذا قارون آتاه المولى (ﷻ) الكنوز والأموال، فما كان منه إلا أن يستبد ويطغي في قومه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾[5]

أحب قارون المال أكثر من أي شيء، وانساه حب المال كل شيء، أنساه الإنسانية والعدل والقناعة، فطغى واستبد وطمع على رعيته، لأن للنقود لمعان يغرى، وبريق يذهب العقول، عقول من عبدوها دون الله، وجعلوا منه قيود تأسر ضمائرهم، نسي قارون أن هذا المال والكنوز التي ملكها قارون نسى أو تناسى أن هذا المال مال الله، وللرعية فيه حقوق، فسرق قارون أقوات شعبه ومالهم، وتكبر واستعلى عليهم بمالهم وادعى انه حصل على المال بمجهوده الشخصي فقال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.[6] **فكان العقاب**

---

(١) كيف تحل مشكلتك الاقتصادية – حامد حامد العرفي – ص٦.
(٢) سورة النازعات: آية ٣٦ – ٤١.
(٣) جامع البيان في تأويل آى القرآن – الطبري – ٢١٢/٢٤.
(٤) أخرجه ابن ماجه، أبواب الزهد – باب الورع والتقوى – رقم (٤٢١٧) – ٢٩٩/٥.
(٥) سورة القصص: آية ٧٦.
(٦) سورة القصص: آية ٧٨.

العقاب في الدنيا قبل الآخرة لكل من استبد، وطمع في حق شعبه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾.(١)

فطمع الحاكم في مقدرات الدولة هو من يدفعه إلى الطمع في رعيته، لأن همه جمع المال والسلطة، فالإنسان جُبِلَ على حب التملك، ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مثالاً في طمع الانسان على أخيه الانسان، ما فيه من العبرة والعظة لبيان انحطاط الانسان، فطمع الحاكم في رعيته وفى قوت شعبه، بل الانسان يطمع في أخيه الانسان.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾.(٢)

انها النفسُ البشرية الطماعة عند الحاكم والمحكوم، فيطمع في حق أخيه مع أنه يأخذ أكثر منه تسعاً وتسعين مرة، إنها النفس البشرية التي حذر منها النبى (ﷺ) فقال (لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ).(٣)

فيقرر القرآن أن الأغنياء والمترفين هم أعداء الشعوب، وأن على الشعوب التي تريد الحياة الكريمة في الدنيا والحياة السعيدة في الآخرة ألاَّ تولى هؤلاء الطغاة، وأن تأبى الدخول في طاعتهم والاذعان لأوامرهم وإلا كان مصيرهم مصير القائلين: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾.(٤)

(وذلك لأن عقلية هؤلاء الأغنياء والمترفين تقوم على زعم كاذب بأن ميراث الأرض وخيرات الدنيا، وتصريف الأمور؛ كل أولئك ليس إلا احتكاراً لهم ووقفاً عليهم اختصوا به لأمر يجهله الناس، وأنه ليس على الناس إلا أن يسمعوا ويطيعوا، وأن يقدموا لهم أنفسهم وأموالهم وحرياتهم وحقوقهم طائعين).(٥)

المطلب الثاني: طغيان قارون:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ

(١) سورة القصص: آية ٨١.
(٢) سورة ص: آية ٢١ – ٢٣.
(٣) أخرجه البخاري – كتاب الرقاق – باب ما يتقي من فتنة المال – رقم (٦٤٣٦) – ٩٣/٨، أخرجه مسلم – كتاب الزكاة – باب لو أن لابن آدم واديان لأبتغي الثالث – رقم (١٠٤٨) ٧٣٥/٢.
(٤) سورة الأحزاب: آية ٦٧ – ٦٨.
(٥) الإسلام والأوضاع الاقتصادية – محمد الغزالي – ص٥٣.

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.(١)

فتنة الغنى قد تكون أشد من ابتلاء الانسان بالفقر، لأن المرء مع الغنى يمسك على النفس هواها وهو مستطيع له قادر عليه، بينما يكف النفس حين تكون فقيرة وهى عاجزة عن إتيان مرادها لا تستطيع بلوغه؛ فليس بالضرورة أن يكون الخسف للمستبد الاقتصادي خسفاً تراه العين كخسف قارون فكم من مستبد خسف الله به في ظلمات أشد من ظلمات الأرض، وهو غافل لا يدرى، فقارون هذا المستبد الاقتصادي قد خسف به معنوياً قبل أن يخسف به خسفاً حسياً ظاهراً وهو لا يدرى؛ فحجب المولى (ﷻ) عنه الاعتراف بالنعم الذى أنعم عليه بالمال فقال (إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ) وهى كلمة نسمعها لكل مستبد اقتصادي.

يقول السعدى رحمه الله:

(إن قارون كان من بنى إسرائيل الذين فضلوا على العالمين، وفاقوهم في زمانهم وامتن الله عليهم بما امتن به، فكانت حالهم مناسبه للاستقامة ولكن قارون هذا بغى على قومه وطغى بما أوتيه من الأموال العظيمة المطغيه واتيناه من كنوز الأموال شيئاً كثيراً، "ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة" والعصبة من العشرة إلى التسعة إلى السبعة، ونحو ذلك، أي: حتى أن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية على حملها، هذه المفاتيح فما ظنك بالخزائن، فقال له قومه ناصحين له محذرين له عن الطغيان لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها المنكبين على محبتها، واتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال فابتغ بها ما عند الله وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات وتحصيل اللذات، ولا تنس نصيبك من الدنيا أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعا، بل أنفق لآخرتك واستمتع بدنياك استمتاعاً لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، وأحسن إلى عباد الله كما أحسن الله اليك بهذه الاموال).(٢)

فهذا قارون استبد على قومه بماله، وبغى على الفقراء من قومه واستخف بهم، ولم يعطف عليهم من هذه الأموال التي أعطاها الله له.

ففي قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾.(٣)

قال إنما أوتيت هذا المال استحقاقا على علمي الذى طوع لي جمعه وتحصيله، فما لكم تملون على طريقة خاصة في التصرف فيه، وتتحكمون في ملكيتي الخاصة، وأنا إنما حصلت على هذا المال بجهدي الخاص، واستحققته بعلمي الخاص، وهو نموذج مكرر للبشرية، فكم من الناس يظن أن علمه وكده هما سبب غناه، ومن ثم فهو غير مسئول عما ينفع وما يمسك غير محاسب على ما يفسد بالمال وما يصلح، ولكن قارون استبد علمياً، وظن أنما جمع هذا المال بعقله وذكاءه وليس لأحد فضل، وادعى العلم بكل شيء، لذا مَنَّ الله عليه بالمال، ونسى قول الله (ﷻ): ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾.(٤)

---

(١) سورة القصص: آية ٧٦-٨٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدى، ص١١.
(٣) سورة القصص: آية ٧٨.
(٤) سورة يوسف: آية ٧٦.

(فالجهل أرض خصبة ووسط مناسب تنمو فيها الخرافات والتصورات الفاسدة والعقائد الباطلة، وهو البيئة المناسبة لحكم الطواغيت، فأينما حل الجهل في قوم أو شعب تكون القابلية للخرافات حاضرة، وتكون وتكون القدرة على تسخير الناس من قبل الطغاة أكثر؛ لأن التجهيل شرط لابد منه لأي مستبد، ولقد بدت العداوة والبغضاء بين الطواغيت وبين العلم والوعي لشدة خطورة ذلك على كرسي المستبد).[١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَ لَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾[٢]

(فأعطى المولى (ﷻ) قارون أموالاً يثقل حملها الفئام من الناس لكثرتها كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الإصبع، كل مفتاح على خزانة على حدته، فإذا ركب حُملت على ستين بغلاً أغر محجلاً، فوعظه قومه وقالوا له على سبيل النصح والإرشاد، لا تفرح بما أنت فيه، ولا تبطر بما أنت فيه من الأموال، فالله (ﷻ) لا يحب المرحين الأشرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، واستعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح فإن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فآت كل ذي حق حقه).[٣]

فقارون المترف عندما نصحه قومه ووعظوه فكان رده عليهم:

(إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل على عندي، علمه الله منى فرضى بذلك عنى، وفضلني بهذا المال عليكم لعلمه بفضلى عليكم).[٤]

(فالمترفون يزدون نعم الله عندهم، وتغريهم كثرتها بابتذالها، وقلة شكر الله عليها، وإراقتها فيما لا جدوى منه، والضن بها على من يحتاجون اليها، والمتأمل في حياة المترفين يجد أن حرصهم على ما هم فيه يغريهم بطلب المال من كل وجه، حلَّ أو حرم ذلك لا يهم، المهم هو كيف تستدام هذه المتع وتيسر أسبابها، ولو على أنقاض المغصوبين والمحرومين).[٥]

فالمترف شخص أبطرته النعمة حتى خرجت به عن حد الاعتدال، وأفسدته وقتلت فيه معانى الإنسانية، والمترفون هم آفة المجتمع في كل أمة وفى كل جيل إذ فيهم ينشأ الفسق والمجون.

(ومن أحسن سياسة المال وعرف قدره، والمكان الذي يوضع فيه صلح به أمره، واستقام به شأنه، ومن اتخذ من المال وسيلة يصطاد بها ما توسوس به نفسه وما يدعوه إليه هواه فسد كيانه وتهدم بنيانه، وتحول إلى كومة متضخمة من الشحم واللحم تهب منها كل ربح خبيثة تفسد المجتمع وتزعجه، وحين تنجم دعوة من دعوات الخير، يكون المترفون هم أول من يلقونها بالنكير، ويرجمونها بكل ما يقدرون عليه، وما جاء

---

(١) شخصية فرعون في القرآن – قاسم توفيق قاسم – رسالة ماجستير – ص١٣٧.
(٢) سورة القصص: آية ٧٦–٧٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير –٢٢٨/٦.
(٤) جامع البيان في تأويل آى القرآن – الطبرى – ٢٦٢/١٩.
(٥) الإسلام والأوضاع الاقتصادية – محمد الغزالى – ص٤٥.

رسول من رسل الله يدعو قومه إلى الهدى، حتى يتصدى له المترفون من قومه يعلنون الحرب عليه، ويجمعون الجموع للوقوف معهم فى وجهه، والله (ﷻ) يقول: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[1] وكان رد المترفين على كل دعوة لهم: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [2]، وتلك هي حجتهم عند أنفسهم وعند الناس، إنهم بما يملكون من كثرة الأموال، وما عندهم من كثرة فى الأولاد والرجال لن يكونوا تابعين لغيرهم، ولن يجعلوا لأحد كلمة عندهم، حتى ولو كان رسولا من رسل الله، يدعوهم إلى الله، ويكشف لهم معالم الطريق إلى الحق والهدى، إنهم أكثر أموالاً وأولاداً من هذا الرسول، فكيف يقوم فيهم مقام الناصح ذى الرأى والسلطان).[3]

(فمضت سنة الله تعالى بأن يسبق الفقراء المستضعفون من الناس إلى إجابة دعوة الرسل واتباعهم وإلى كل دعوة إصلاح لأنه لا يثقل عليهم أن يكونوا تبعاً لغيرهم، وأن يكفر بهم أكابر القوم المتكبرون، والأغنياء المترفون لأنه يشق عليهم أن يكونوا مرؤسين، وأن يخضعوا للأوامر والنواهي التي تحرم عليهم الإسراف الضار. وتوقف شهواتهم عند حدود الحق والاعتدال).[4]

ولقد أخبرنا النبى (ﷺ) أن المترفين في الدنيا ينسون ما كانوا فيه من النعيم في الآخرة، قال (ﷺ): (يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ، هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ وَهَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ).[5]

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبحمده وفضله تنجز المهمات، أحمده سبحانه وتعالى حمد الشاكرين، وأسأله (ﷻ) أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله من العلم الذي ينتفع به، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم – وبعد:

وهذه أهم النتائج توصلت إليها الدراسة:

(١) القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، وهو دواء لكل أسقام الأمة، ففي القرآن سعادة البشرية في الدنيا والآخرة.

(٢) الطغيان داء إذا أصاب أمة جعلها تتخلف وتتقهقر إلى الوراء، فهو كالمرض المعدي الذي يصيب الجسد كله ويدمره.

---

(١) سورة الاسراء: آية ١٦.
(٢) سورة سبأ: آية ٣٥.
(٣) التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم يونس الخطيب – ٨٣٠/١١.
(٤) تفسير المنار – محمد رشيد رضا – ٥٠٤/٨.
(٥) صحيح مسلم – كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب صبغ أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤساء في الجنة – رقم (٢٨٠٧) ٢١٧٢/٤.

(٣) الطغيان يكتسب معناه السيئ من صاحبه أو من يمارسه الذي يستأثر بالسلطة، ويتجاوز الحد في الظلم والغي.

(٤) الطغيان يشمل عنصرين لا نجدهما بالضرورة في الاستبداد وهما: القهر والجور.

(٥) ضرب القرآن الكريم نماذج عديدة للطغاة، كما أعطانا القرآن صورة للطغيان من كل الجوانب والزوايا.

(٦) تناول القرآن الكريم لقصة سيدنا موسى مع الطاغية فرعون بكثرة، فقد تناول القرآن الكريم القصة من كل جوانبها مما يدل على اهتمام القرآن الكريم بمحاربة الاستبداد والفساد.

(٧) قدّم القرآن الكريم العلاج للاستبداد، فما من شيء كبير أو صغير إلا وقدم القرآن له الحل والعلاج.

المصادر والمراجع

١. اردشير ــ إحسان عباس ــ دار صادر للطباعة والنشر ــ ط١ ــ١٩٦٧م.
٢. الاستبداد مظاهره ومواجهته ــ الشيخ احمد بن حمد الخليلي ــ كتاب الكتروني علي موقع البصيرة ــ الطبعة الأولي ــ ١٤٣٤هـــ/٢٠١٣م
٣. الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين ــ نبيل هلال هلال ــ دار الكتاب العربي دمشق القاهرة
٤. الإسلام والاستبداد السياسي ــ محمد الغزالي ــ دار النهضة للنشر ــ الطبعة العاشرة ــ يناير ٢٠١٤ م .
٥. الإسلام والاستبداد السياسي ــ محمد الغزالي ــ دار النهضة للنشر ــ الطبعة العاشرة ــ يناير ٢٠١٤ م .
٦. الإسلام والأوضاع الاقتصادية ــ محمد الغزالي ــ دار القلم دمشق ــ الطبعة الثانية ــ ١٤٢٦هـــ/٢٠٠٥م.
٧. أصول الدعوة ــ د/عبد الكريم زيدان ــ مؤسسة الرسالة ــ الطبعة التاسعة ــ١٤٢١ه/٢٠٠١م
٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ــ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ــ الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ــ عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ
٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ــ المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ــ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ــ الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ
١٠. تاج العروس من جواهر القاموس ــ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) ــ المحقق: مجموعة من المحققين ــ الناشر: دار الهداية
١١. التحرير والتنوير ــ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ــ دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.
١٢. التعريفات ــ علي بن محمد بن علي الجرجاني ــ الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ــ الطبعة الأولى، ١٤٠٥ ــ تحقيق: إبراهيم الأبياري
١٣. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ــ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ــ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ سنة النشر: ١٩٩٠ م
١٤. تفسير القرآن العظيم ــ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ــ المحقق: سامي بن محمد سلامة ــ الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ــ الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٥. التفسير القرآني للقرآن ــ عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ــ الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
١٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم ــ المؤلف: محمد سيد طنطاوي ــ الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ــ الطبعة الاولي ــ ١٩٩٧ م .
١٧. تهذيب الرياسة وترتيب السياسة ــ أبو عبد الله القلعي ــ دار النشر / مكتبة المنار – الأردن الزرقاء ــ الطبعة: الأولى
١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) ــ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ــ تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمام ــ الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ــ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ــ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ــ المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ــ الناشر: دار طوق النجاة ــ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
٢٠. الجامع لأحكام القرآن ــ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) ــ هشام سمير البخاري ــ دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ــ ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
٢١. الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) ــ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) ــ المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ــ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ــ الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٢٢. الحريات من القران الكريم ــ د/علي محمد الصلابي ــ دار ابن حزم ــ ٢ ٢٠١٣م
٢٣. الخلافة والملك ــ أبو الاعلي المودودي ــ تحقيق /احمد إدريس ــ الناشر:دار القلم ــ الطبعة الأولي ــ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ــ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ــ المحقق: علي عبد الباري عطية ــ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ــ الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
٢٥. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ــ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) ــ الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ
٢٦. سراج الملوك ــ أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠هـ) ــ الناشر: من أوائل المطبوعات العربية – مصر ــ تاريخ النشر: ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م
٢٧. السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ــ محمد سعيد رمضان البوطي ــ دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ــ الطبعة الرابعة عشر ــ ٢٠٠١م.
٢٨. سنن ابن ماجه ــ ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) ــ تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون - الناشر: دار الرسالة العالمية ــ الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩
٢٩. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ــ د/عبد الكريم زيدان ــ مؤسسة الرسالة بيروت ــ الطبعة الأولي ــ ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٣٠. سنن الترمذي ــ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ــ تحقيق وتعليق ــ أحمد محمد شاكر وآخرون ــ الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ــ الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
٣١. السياسة الشرعية عند الإمام محمد رشيد رضا دراسة فقهية مقارنة ــ د/محمود سعد محمود مهدي ــ دار النوادر اللبنانية ــ الطبعة الأولي ــ ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
٣٢. شخصية فرعون في القران ــ قاسم توفيق قاسم ــ رسالة ماجستير ــ جامعة النجاح الوطنية فلسطين ــ ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م
٣٣. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ــ عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبي يلقب بالسيد الفراتي (المتوفى: ١٣٢٠هـ) ــ الناشر: المطبعة العصرية – حلب
٣٤. العين ــ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) ــ المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال
٣٥. فتح القدير ــ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ــ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ــ الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.
٣٦. الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الأسرة والتكافل ــ د/محمد البهي ــ مكتبة وهبة للنشر والتوزيع .
٣٧. القران والسلطان هموم إسلامية معاصرة ــ فهمي هويدي ــ دار الشروق ــ الطبعة الأولي ــ ١٤٠١هـ /١٩٨١م.
٣٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ــ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) ــ المحقق: عدنان درويش – محمد المصري ــ الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
٣٩. كيف تحل مشكلتك الاقتصادية ــ حامد حامد العرفي ــ نشر خاص – ١٩٩٣ – الأهرام والأخبار
٤٠. اللباب في علوم الكتاب ــ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ــ المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ــ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ــ الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
٤١. لسان العرب ــ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ــ الناشر: دار صادر – بيروت ــ الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٤٢. مجمل اللغة لابن فارس ــ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ــ دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ــ دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ــ الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
٤٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ــ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ــ المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ــ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ــ الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٤٤. المعجم الوسيط ــ المؤلف / إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار ــ دار النشر: دار الدعوة ــ تحقيق / مجمع اللغة العربية.
٤٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ــ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ــ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت
٤٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ــ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ــ دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م ــتحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.